

الجولاني يعترف وتركيا تقر: لا نمثل تهديدا لواشنطن وحلفائها

انفتاح هيئة تحرير الشام.. تملص من التاريخ الإرهابي وبحث عن شرعية كطالبان



اعتدال مصطنع

ويستغل تنظيم داعش والفرع المشتق الممثل للقاعدة المركزية في سوريا حركة الانشقاقات عن هيئة تحرير الشام لصالحهما عبر الترويج لسباقات أكثر تشبهاً بالأصول وبمنطلقات المشاريع الجهادية كفضائل متصديبة للغرب الاستعماري ووصفها الأكثر ثباتاً على التعليم العقيدة.

وما يروج له قادة الهيئة من خلال صحف ووسائل إعلام غربية بشأن ميلها صوب الاعتدال واحترام حقوق الإنسان يدحضه الواقع الذي تنقله حسابات المعارضة للهيئة بإدلب على وسائل التواصل وحتى الحسابات الموالية للهيئة التي بثت مؤخراً مقطع فيديو تحت عنوان "انشبال هيئة تحرير الشام" لمجموعة أطفال يدرّبهم عناصر بالهيئة على استخدام السلاح، وهو ما جعلها لا تختلف كثيراً عن داعش الذي اعتمد سياسة تجنيد الأطفال والزج بهم في معاركهم مطلقاً عليهم وصف "انشبال الخلافة".

وبدت الدعوات الشعبية داخل إدلب للتمرد ضد سلطة الجولاني بسبب الفساد وسوء الإدارة فضلاً عن أصوات المضطهدين والملاحقين من معارضي الهيئة أعلى في صداها وتأثيرها من محاولات الجولاني تلميع نفسه وجماعته بالصحف الغربية.

وتغفل العروض التركية الأخيرة بشأن دعوات التنسيق والتقارب مع الولايات المتحدة ودول الغرب في الملف السوري موقف روسيا الراض لخطط إنشاء منطقة آمنة على الحدود التركية، ومستبعد أن تتجاوز إدارة بايدن مع رغبة أردوغان بشأن تخلي واشنطن عن وحدات حماية الشعب الكردية.

وفي ظل إصرار الإدارة الأميركية على مواصلة دعم الأكراد وعدم الاقتناع بالإجراءات الشكلية

والتكتيكية التي تجربها هيئة تحرير الشام وحضور روسيا كعائق يحول دون تنفيذ خطة المنطقة الآمنة، فإن مستقبل هيئة تحرير الشام على المحك.

وحتى نجد مخرجاً لهذا المأزق المعقد ولنزع الذرائع الروسية لاجتياح إدلب، قد تقدم

تركيا على دمج هيئة تحرير الشام مع فصيل الجيش الوطني تحت قيادة عسكرية موحدة، وليس مستبعداً تفككها وانهارها على وقع تمرد مقاتليها الأجانب الذين يشكلون رقماً صعباً داخلها في حال تأخرت الاستجابة الدولية لقبولها ككيان سياسي وطني.

تصورات هيئة تحرير الشام المتعلقة بقبولها دولياً والسماح بانخراطها في مستقبل التسوية السياسية كطرف معارض من أرضية وطنية، تحول دون تحقيقها جملة من العوامل على الأرض، حيث بات مصير الهيئة مرهوناً بالنقاشات الجديدة بين الأطراف الدولية والإقليمية الفاعلة ومدى انفتاح إدارة بايدن على موسكو وانقرة، وما إذا كانت ستقبل التوصل إلى حلول مشتركة معهما من عدمه.

إدلب وعدم التورط في أي تمرد من شأنه التأثير في التوازنات الدولية.

ووجدت الولايات المتحدة والدول الأوروبية أن التغييرات التي أجرتها الهيئة في مواقفها تندرج ضمن المناورات التكتيكية والخدع الشكلية دون الولوج في صميم الإشكاليات والمراجعات الفكرية والعقدية المتصلة بايديولوجيا الحركة، فضلاً عن أن ما تروج له بشأن مستوى سيطرتها ونفوذها كرقم صعب في معادلة الشمال السوري يظل مشكوكاً في دقته.

وأدى عدم مقدرة الهيئة على إحراز انتصارات نوعية في مواجهة الميليشيات الإيرانية والنظام السوري، والدخول في مفاوضات يعتبرها المتشددون داخل الهيئة من قبيل تقديم التنازلات على حساب الدين والعقيدة، إلى تزايد حركة الانشقاقات وعلو نبرة المنتقدين لمواقف الجولاني وقادة الهيئة، وفي مقدمتهم المفتي الشرعي والقائد العسكري البارز في الهيئة أبو الفتح الفرغلي (يحيى بن طاهر الفرغلي) الذي وصل إلى مستوى غير مسبق في انتقاد الهيئة وقادتها على قناته على تلغرام.



عرض أردوغان للتعاون مع واشنطن في سوريا لم يجبره على تغيير تكتيكات استخدمها أثناء تعاونه مع موسكو، إذ يريد المضي في شن عملياته ضد الأكراد مقابل تثبيت نفوذ الجهاديين



الاستعداد لتحسين العلاقات مع حليف رئيسي في الناتو، جميعها عروض منسقة يجري تقديمها للأميركيين والأوروبيين من خلال ورقة الترغيب في التقليل من أخطار اندلاع أعمال عنف في شمال غرب سوريا.

وتراهن انقرة فضلاً عن الأصوات الغربية المؤيدة لهذا التوجه على أن إتمام توافق من هذا النوع بين الولايات المتحدة وتركيا والشركاء الأوروبيين من شأنه أن يكون بوابة لفتح حوار مع موسكو عبر امتلاك مفاتيح وقف التصعيد العسكري والحد من الهواجس الروسية بخصوص الهجمات المنطلقة من إدلب مستهدفة قاعدتها العسكرية في غرب سوريا أو المناطق التي تهيمن عليها الحكومة السورية.

وتلوح تركيا بورقة الترغيب حيث تعي جيداً أن إلحاق هزيمة عسكرية شاملة ونهائية بهيئة تحرير الشام من قبل موسكو وحكومة دمشق لن يتحقق دون وقوع خسائر هائلة على المستوى الإنساني والتسبب في انفجار قنبلة ضخمة من اللاجئين باتجاه دول أوروبا. لذلك صحت عروض الترغيب من قبل انقرة وهيئة تحرير الشام لهجة تهديد بموجات من اللاجئين الجدد إلى أوروبا، في حال ظل الموقف الأميركي والأوروبي من الهيئة كما هو وأصر الطرفان على تحميل تركيا وحدها تبعات الفشل في الملف السوري.

توازنات ومعضلات

تسعى قيادة هيئة تحرير الشام من خلال هذه الحركات لتشكيل هوية جديدة للحركة تضعها في قلب المعادلات السياسية المستقبلية بوصفها حركة معارضة وفصيل تحرر وطني يجارب الاحتلالين الإيراني والروسي، علاوة على نيل رضا الولايات المتحدة والقوى الغربية من منطلق تخليها عن عقيدة الجهاد العابر للحدود ومعاداة الغرب وتعاونها في مجهودات تقويض الفصائل التي لا تزال تعتنق تلك الأفكار.

واستخدمت الهيئة القوة العسكرية ضد الفصائل المتشددة التي لم تنفق مع رؤيتها، مقابل تلميع صورتها عبر حملة من التكتيكات التي يؤديها قادتها سواء المتعلقة بالتغييرات الشكلية عبر استبدال ثياب الحرب وغطاء الرأس الذي يستخدمه قادة الجماعات بالبدلات الغربية والانفتاح على الظهور بوسائل إعلام وصحف غربية وتكرار النقاظ الصور في الشوارع وبالأسواق، ما يعكس الرغبة في الهروب من التاريخ الإرهابي للتنظيم للحصول على شرعية بالدخول في مسارات شبيهة بتلك التي خاضتها حركة طالبان الأفغانية.

ولم ترق محاولات هيئة تحرير الشام المتكررة لتحقيق ردود أفعال إيجابية خاصة في ما يتعلق بالقبول الدولي، على الرغم من التغييرات الشكلية والتنظيمية التي أجرتها وإيدائها الالتزام بالاتفاقيات الدولية المبرمة بين روسيا وتركيا بشأن

الأتراك للقوى الغربية بحلول سياسية لمعضلة الجهاديين وهيئة تحرير الشام في إدلب عبر الترويج للأخيرة بوصفها قادرة على فرض الاستقرار وتثبيت وقف إطلاق النار واحتواء وتحجيم الفصائل المسلحة الأخرى.

ترغيب وترهيب

منحت انقرة قادة هيئة تحرير الشام الضوء الأخضر لإبداء العديد من التغييرات في الشكل ومضمون التوجهات، بهدف كسب أطراف وجهات دولية تبنى التطبيع مع الهيئة ورفعها من قوائم الإرهاب، كي لا تنهم تركيا إذا قامت بذلك بشكل أحادي بدعم الجهاديين وغسل سمعتها.

وتحقق هذا جزئياً بالنظر إلى التوصية التي قدمتها مجموعة الأزمات الدولية لإدارة الرئيس بايدن بفتح المجال أمام هيئة تحرير الشام للعب دور جديد يتناسب مع مرحلة مختلفة، معتبرة أن إدلب إحدى الفرص لإعادة تحديد إستراتيجية الولايات المتحدة لمكافحة الإرهاب بمعزل عن سياسة واشنطن الخارجية السابقة المفرطة في العسكرة. ووظفت انقرة ومن خلفها الهيئة الرغبة الغربية في الحفاظ على الهدوء الهش في الشمال السوري، وحرص الإدارة الأميركية برئاسة بايدن على بناء إستراتيجية سياسية جديدة خاصة بسوريا، بهدف الدفع باتجاه التعاون مع انقرة لوضع نهج جديد لمكافحة الإرهاب يعطي وزناً للأدوات الناعمة والدبلوماسية بدلية عن الأدوات العسكرية.

وإبداء هيئة تحرير الشام التي كانت يوماً كياناً تابعاً للقاعدة استعدادها للتخلي عن أجنحة الجهاد العالمي العابر للحدود وشن الهجمات على المدنيين وتقديم الجولاني والقادة الغربيين منه كأشخاص مختلفين عن زعماء الجماعات الإرهابية التقليديين فضلاً عن



ورقة يتم تحريكها على أكثر من صعيد

بعث أبو محمد الجولاني زعيم هيئة تحرير الشام برسائل إلى الولايات المتحدة تحاول إظهاره كشخص معتدل يمكنه المساهمة في عملية التوصل إلى تسوية نهائية للأزمة السورية، وذلك بالتزامن مع رسائل تركية إلى واشنطن ما يكشف عن خطط تركية لضمان إعادة تموضع انقرة في المعادلة السورية عبر الترويج لمشروع سلام من خلال مناطق آمنة في الشمال السوري.

تزامن هذا التوجه مع تحركات تركية تحاول إعادة التموضع اصطفاً مع الولايات المتحدة والسدول الغربية في الأزمة السورية، على خلفية شعور أردوغان بأن فشلها في الوفاء بالتزاماته في الشمال السوري، وتحديداً في إدلب، من شأنه دفع روسيا بالتعاون مع الحكومة السورية إلى الانطلاق بقوة لتغيير المعادلات القائمة هناك على حساب المصالح التركية.

وسبقت مطالبات الجولاني من واشنطن مراجعة مواقفها من حركته، مناقشات أطلقها الرئيس التركي نظيره الأميركي والرؤساء الأوروبيين عبر مقال له نشرته "بلومبرغ" في منتصف مارس الماضي، عارضاً على بايدن التعاون في الملف السوري لكبح روسيا وتصفيته الحسابات معها، مشدداً على أن السلام في سوريا يعتمد على الدعم الغربي القوي، على أمل تحقيق خطته الخاصة بإنشاء منطقة آمنة وإعادة روسيا في إدلب.

وسعى هيئة تحرير الشام (جبهة النصر سابقاً) المصنفة على قوائم الإرهاب الأميركية منذ العام 2013 لتطبيع العلاقات مع الولايات المتحدة والدول الغربية مرتبط بالترويج للاستنادة التركية باتجاه الغرب لتثبيت مكاسب انقرة وتعظيمها في الشمال السوري، وبمساعيها بشأن إذابة الخلاف مع إدارة بايدن المتعلق بالممارسات ضد المكون الكردي.

وتحرص انقرة على وضع حد للترويج بورقة هيئة تحرير الشام باعتبارها جزءاً من القوى التابعة والموالية لتركيا بسوريا من خلال الإصرار من قبل الولايات المتحدة على إبقائها كمعضلة إرهابية، كإداة لإجبار تركيا في المقابل على قبول الحوار مع حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي الكردي المسيطر على شمال شرقي سوريا وتصنفه انقرة إرهابياً كفرع لحزب العمال الكردستاني. وينطوي طرح انقرة لصيغة تعاون وتنسيق مع واشنطن والعواصم الأوروبية متضمنة احتواء وقبول هيئة تحرير الشام وهو ما وضع من مطالبه أردوغان الغرب بدعم المعارضة السورية الشرعية واتخاذ موقف واضح من وحدات حماية الشعب الكردية، على مخطط تركي لإزاحة الأكراد من المعادلة بحيث لا تستخدم هيئة الجولاني كإداة للمقايضة في سبيل الضغط على انقرة للاعتراف بوحدات حماية الشعب والحوار معها.

عرض الرئيس التركي صيغة تعاون مع الولايات المتحدة ودول أوروبا بالملف السوري لم يجبره على تغيير تكتيكاته التي استخدمها أثناء تعاونه مع موسكو منذ العام 2016، حيث يريد المضي في شن عمليات عسكرية على الأكراد، مقابل تثبيت نفوذ حلفائه الجهاديين واقتضى هذا التحول إقناع

هشام النجار
كاتب مصري

القاهرة - كشف التزام بين الرسائل الموجهة مؤخراً من الرئيس التركي رجب طيب أردوغان وأبو محمد الجولاني زعيم هيئة تحرير الشام إلى واشنطن وعواصم أوروبية عدة عن خطط لخلق فرص إعادة تموضع انقرة في الأزمة السورية عبر طرح مشروع سلام يمكنها من استثمار الغرب في المناطق الآمنة بالشمال السوري.

لم ينفك حديث زعيم هيئة تحرير الشام في سوريا أبو محمد الجولاني الأخير بشأن عدم تهديد حركته للولايات المتحدة وأوروبا عن مضمون رسائل الرئيس التركي التي يبحث خلالها الولايات المتحدة وأوروبا على التعاون، كمنطلق لتحقيق أهدافه المعطلة في الشمال السوري وإزاحة ما يعيق التوفيق بين نظامه وإدارة الرئيس الأميركي جو بايدن.

الجولاني زعم استحقاقه أن يكون طرفاً في التسوية بسوريا وأن يرفع تنظيمه من قوائم الإرهاب بالنظر إلى التحولات التي يعرفها

الجولاني الذي يرغب في تقديم نفسه بمظهر عصري محاولاً إزالة صورته النمطية كقائدٍ لتنظيم متطرف من أذهان الغرب وتقديم نفسه كلاعب سياسي معتدل، أكد خلال الحوار الذي أجرته معه صحيفة "فوننت لاين" الأميركية أن تنظيمه "لا يشكل أي تهديد أمني أو اقتصادي للولايات المتحدة والدول الغربية"، طارحاً جملة تصورات ضمن محاولاته المتكررة لتبديد مخاوف الغرب من أهداف حركته وأفكارها وارتباطاتها.

استدارة تركية

استند الحوار المنشور على الشبكة الأميركية وجرى تضمينه بوثائق عنوانه "داخل سوريا الأسد" على مقابلة جمعت بين الجولاني والصحافي الأميركي مارتن سميث في إدلب عبر تركيا في فبراير الماضي، لكنها نشرت قبل أيام، وفيه طرح الجولاني نفسه بصفته لاعباً محلياً معتدلاً.

وزعم الجولاني استحقاقه أن يكون طرفاً في التسوية السياسية النهائية بسوريا وأن يُرفع اسم تنظيمه من قوائم الإرهاب الدولية، بالنظر إلى التحولات التي يجريها على مستوى الشكل والمضمون من خلال التغييرات التكتيكية التي تهدف للترويج للهيئة بوصفها كياناً سياسياً معارضاً لحكومة دمشق، لا بوصفها فصيلاً جهادياً منتسباً معادياً للغرب.